

# بعض المبادئ على سلوكنا

للأستاذ محمد زكي عبد القادر

هناك أشياء صغيرة في سلوكنا : نتقاضى عنها تحت ستار التناصح تارة ، وتحت ستار  
الخوف أو العجز أو عدم الرغبة في توضيح الوقت تارة أخرى ، ولكن هذه الأشياء على الرغم  
من صغرها تصيب نخاع العام للأمة بطبع خاص . ولخلق عدم يؤثر على سلوك الخاص  
للأفراد ، والسلوك الخاص للوظائف ، ومن ثم على السلوك العام في أداة الحكم والتنفيذ .  
وهذا التسلسل في التأثير واضح تماما ، ويمكن إبداء عشرات الأمثلة عليه . ونكت ندعها  
الآن فتكلم عن هذه الأشياء الصغيرة .

## الزوار الثقلاء :

تكون منهمكا في عملك ، في مكتبك ، إذا كنت محاميا ، أو في عيادتك إذا كنت  
طبيبيا . أو في متجرِكَ إذا كنت تاجرا ، أو في ديوانك إذا كنت موظفا ، فهبط عليك  
زائر ، قد يكون صديقا عزيزا أو لا يكون . وهنا تقع أنت بين نارين . إن قصرت في تحيته  
والتحدث إليه لم تسلم من لسانه ؛ وإن أديت له ما يحسبه وجبا من هذه التحية ، كان لابد  
أن تهمل عملك أو تعطله أو تؤديه أداء سيئا .

والأكثر منا يؤثرون أن يحاملوا هذا الزائر على حساب العمل ، يؤثرون أن ينصرفوا  
عن عملهم العاجل إلى التحدث عن الطقس وغلاء الحاجيات والعلاوات والدرجات والعارات  
والسياسة ، والحرب ، والسهرات وربما يضررون في الخوص في أعراض الناس . يؤثر  
الكثيرون منا أن يفعلوا ذلك ، لكي يرضوا هذا الزائر الذي قد يكون فارغ القلب واليد من المهم  
وأهم ، ولذلك قد تطول زيارته وقد تثقل جلسته ، قد يتناول بين وقت وآخر جهاز التليفون  
الموضوع على مكتبك ليحدث أصدقاءه وربما صديقه . حديثا فرغا ملاما سخيفا ، لا يري  
شعورك ولا يحترم وقتك ولا عملك .

فأنت بسلكك المحاملة الذي رأيت أن تتبعه مع مثل هذا الزائر تكون قد شجعت على أن يكرر  
عمله معك ومع غيرك وتكون قد ساعدت على أن يصبح مثل هذا السلوك من تقيد الجماعة  
المصرية ونو أنك نصرمت عنه والقيت همك وفكرك إلى عملك ؟ وظهريت أمامه بمظهر

الرجل الذى يؤثر عمله على السفسطة ، لأدرك من نفسه أنه أخطأ ولأدرك أنك تكره منه هذه الزيارة ، ومن ثم فلا يقدم عليها مرة أخرى ولو أن غيرك سلك مثل هذا السلوك إزاء كل زائر من هذا النوع ، لانتفت هذه الزيارات الثقيلة التى تأكل الوقت والجهد وتضيع بعض الثمرات الحسنة للعمل المنظم المستمر الذى يؤديه صاحبه فى أوانه .

نعم ان هؤلاء الزوار أو بعضهم ميسطون ألسنتهم فى مزورهم . ولكن ماذا بهم هذا النوع من النقد والتجريح ؟ انما فى حاجة الى كثير من الشجاعة الأدبية حتى نستطيع أن نتخلص من بعض هذه المضايقات ، ومن ثم نتخلص البيئة المصرية من بعض النقاخص التى تؤخذ عليها .

وأنت حينما تزور المصالح الحكومية ، تجد فى بعض المكاتب موظفها يتركون عملهم لينصرفوا الى زوارهم يحتسون وإياهم القهوة ويدخنون السجاير . . على حساب من يضيع هذا الوقت ؟ . . على حساب دافع الضرائب المسكين الذى يشقى فى الشارع والحقل والمصنع ، إن هؤلاء الطفيليين من الزوار يأخذون وقت الموظفين الذى يجب أن ينفق فى أداء الأعمال الموكول أمرها اليهم ويأخذونه لابل يسلبونه . فان وقت الدولة هو مال ؛ يدفع قيمته دافع الضرائب فىأتى هؤلاء الطفيليون ويسرقونه كما تسرق الأمتعة .

وإذا كان الموظف المزور راضيا عن هؤلاء الزوار منصرفا اليهم مقبلا عليهم فانه شريك معهم فى هذه السرقة . وإذا كان نجلا منهم غير قادر على أن ينبههم الى خطئهم فان شعوره بالواجب واعترازه بعمله وغيرته عليه تكون من الضعف بحيث يوشك أن يعد رجلا غير أمين .

### الذين يسبقونك فى الدور :

ولنضرب مثلا آخر : فى شبابيك السكة الحديدية ، وفى شبابيك بعض دور السينا ينظم قطع التذاكر بالدور . تكون فى دورك فىأتى طفلى ويدفعك عنه ويصر بحركة سمجة على أن يسبقك . هنا قد تتسأخ أنت وتنظر اليه نظرة شزاء وتمسك ، وتدعه يأخذ دوره قبلك ، إناك بذلك تخطئ ، صحيح أن تأخيرك دقيقة ، أو دقيقتين ، قد لا ينطوى على ضرر كبير لك . ولكن سماحك فى أن يمتدى معتد على النظام وعلى حق لك هو الذى ينطوى على أكبر الضرر . ومزاحمة هذا الطفلى لك فى شباك السكة الحديدية أو شباك دار السينا هو مثل لما يمكن أن يعمد اليه فى مسائل أكثر خطورة وأعظم أهمية . وهذه الحركة التى لمعدّها تافهة وسخيفة منه تدل على اتجاه سيئ فى نفسه يطبعه فى كل التصرفات ، ومن ثم يصبح مواطنا لا يحترم حق غيره ولا يحترم النظام العام ، وإذا شاع مثل هذا السلوك فى أمة كان بناؤها الاجتماعى وشيك الانهيار ، وكان خلقها العام موضوعا للنقد والتجريح .

ولو أنك عدت مثل هذا التفضيل الى مكانه وزجرته على سوء تصرفه وتمسكت بحقك وبحق النظام ، وساعدك على ذلك غيرك ممن هم بعدك في الدور أو قبلك فيه وتعاونتم على زجر هذا المعتدى لما جأ مرة أخرى على أن يكرر هذا السلوك معك أو مع غيرك ، ولكن تسمحك وتسمح غيرك يوحى اليه أنه فاز دونكم بدور متقدم وأنه بهذا العمل قد تحطواكم وأخذ تذكرة وانصرف قبلكم ، بهذا يكون مستعدا بل ومتحفزا في مثل هذه المناسبات أن يكرر هذه المزاحمة وهذا التعدى .

### الذين يزاحمونك في القطار والترام :

ولنضرب مثلا ثالثا : تكون في القطار أو في الترام أو في الأمتابوس والعربة كاملة ليس فيها مكان لراكب جديد ، فاذا براكب تثقل يقدم ، ويسألك ، ويسأل جارك أن تسمح له بمكان بينكما . وتشعران أتيا بشيء من الحجل ، فتوسعان له المكان الذي يطلبه . وتفعلان ذلك في اشمزاز ولكنكما تسكان ، أتيا بذلك تحطتان ، ولو رفضتا أن تسمحا له بما يطلب لأعطيته درسا لن يسه . هذا الدرس هو أن يحترم راحة غيره ، ويحترم النظام الموجود فلا يضايق الناس بهذه السهاحة . فان هذا المكان قد خصص لاثنين أو ثلاثة أو لأربعة ، فلا يصح أن يتجاوز الجالسون فيه هذا العدد ، وإلا كان في ذلك مضايقة لهم جميعا . وهذه المضايقة قد يمكن التسامح فيها ، ولكن روح العبث بالنظام ، وروح الرغبة في أخذ ما ليس للانسان وما لا حق له فيه ، تشجيع هذه الروح هو الذى ينطوى على ضرر ، أبلغ الضرر . وهناك أمثلة عديدة أخرى . ولكننا نكتفى الآن بسردها ما سردناه ، على أن نتابع ذكر أمثلة جديدة في مقال ثان .

محمد زكى عبد القادر